منهج العقيدة (٦)

الخلافة

معنى الخلافة والإمامة والجماعة، وأفضلية الخلفاء الأربعة حسب ترتيبهم

مسألة الخلافة والإمامة من المسائل المهمة التي وقع فيها الخلاف بين أبناء هذه الأمة المحمدية، وسفكت بسببها دماء كثيرين من المسلمين، حتى قال عبد القاهر البغدادي –رحمه الله– صاحب كتاب الفرق بين الفرق: "ما سل سيف في الإسلام إلا بسبب الإمامة"؛ فلذلك سوف نعرف بهذه المصطلحات الثلاثة تباعًا:

الخلافة

في اللغة: من خلف فلان فلانًا إذا كان خليفته، واستخلف فلانا من فلان: جعله مكانه، والخليفة: الذي يستخلف ممن قبله. والجمع: خلائف، وخلفاء، والخلافة: الإمارة، وهي الخِلِّيفي بكسر اللام وتشديدها، ويقال: هذا فلان وإنه لخليفة: أي بين الخلافة، والخليفي والخليفة: السلطان الأعظم.

وأما **الخلافة في الاصطلاح**: فهي كما عرفها الإمام الماوردي –رحمه الله– وجعلها مرادفة للإمامة بقوله: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا".

وعرفها ابن خلدون بقوله: "فوجب –بمقتضى الشرائع– حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أصول دنياهم وآخرتهم، وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء، ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء، فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة، وأن الملك الطبيعي: هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة، والسياسة: هي حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار. والخلافة: هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا" .

وعرف الشيخ محمد رشيد رضا –رحمه الله– الخلافة بقوله: "الخلافة، والإمامة العظمى، وإمارة المؤمنين ثلاث كلمات معناها واحد، وهو: رئاسة الحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا".

الإمامة

قبل أن نذكر **تعريف الإمامة**، ينبغي أن نعلم أن ما قلناه في تعريف الخلافة ينطبق على الإمامة؛ لأنهما مترادفان لمسمى واحد، فالإمامة هي الخلافة، والإمام هو الخليفة، إلا أن ابن خلدون -رحمه الله- يشير إلى سبب إطلاق أحد المصطلحين دون الآخر، فيقول: "وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب، وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة، والقائم به يسمى خليفة وإمامًا، فأما تسميته إمامًا فتشبيهًا بإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به، ولهذا يقال: الإمامة الكبرى، وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته، فيقال: خليفة بإطلاق، وخليفة رسول الله -صلّ الله عليه وسلم".

وعرف الشريف الجرجاني -رحمه الله- الإمام وهو تعريف للإمامة، فقال: "الإمام الذي به الرئاسة العامة في الدين والدنيا جميعًا" .

الجماعة

المراد بالجماعة -أي: جماعة المسلمين: وهو لقب مرضي لأهل السنة؛ لأنهم يحذرون من الفرقة التي هي سمة أهل الأهواء، حتى أصبح يطلق على أهل الإسلام الحق الذين يمثلونه خير تمثيل: أهل السنة مرة، وأهل السنة والجماعة مرة أخرى. وقد ورد هذا الوصف لهم في عدة أحاديث أشهرها حديث معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلّ الله عليه وسلم: (إن هذه الأمة ستفترق على إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة).

بيان أفضلية الخلفاء الأربعة حسب ترتيبهم

أفضل الناس بعد الأنبياء هم أصحاب رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- الذين أثنى الله تعالى عليهم في غير موضع من كتابه العزيز، كقوله تعالى: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) [التوبة: ١٠٠].

وقال الإمام الطحاوي -رحمه الله- في عقيدته: ".... ونثبت الخلافة بعد رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- أولًا لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- تفضيلا له وتقديمًا على جميع الأمة

ثم لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-

ثم لعثمان -رضي الله عنه-

ثم لعلي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون" .

و **قال ابن أبي العز الحنفي** –رحمه الله– في شرحه لعقيدة الإمام الطحاوي: "اختلف أهل السنة في خلافة الصديق –رضي الله عنه: هل كانت بالنص أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم قال بالنص الجلي، وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها تثبت بالاختيار... ونثبت الخلافة بعد أبي بكر –رضي الله عنه– لعمر –رضي الله عنه– وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه، وفضائله –رضي الله عنه– أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر، ونثبت الخلافة بعد عمر لعثمان –رضي الله عنهما. ومن فضائل عثمان –رضي الله عنه– الخاصة: كونه ختن رسول الله –صلّ الله عليه وسلم– –أي: صهره– على ابنتيه... ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي –رضي الله عنهما– لما قتل عثمان وبايع الناس عليًّا صار إمامًا حقًّا واجب الطاعة بمبايعة الصحابة".

وترتيب الخلفاء الراشدين –رضي الله عنهم أجمعين– في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ولأبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– من المزية أن النبي –صلّ الله عليه وسلم– أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين، ولم يأمرنا في الاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر، فقال: "اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر" وفرق بين اتباع سنتهم والاقتداء بهم، فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي –رضي الله عنهم أجمعين.

إذن فمذهب أهل السنة –وهو المذهب الحق– أن أفضل الصحابة –رضي الله عنهم– الخلفاء الراشدون المهديون، وأن فضلهم يتفاوت بتفاوت ترتيب خلافتهم؛ فأفضلهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي –رضي الله عن الجميع.

الأدلة على أفضلية الخلفاء الأربعة حسب ترتيبهم في الخلافة

يستدل أهل السنة على أفضلية الخلفاء الراشدين الأربعة، وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة بنصوص كثيرة منها:

- حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– في الصحيحين أنه سمع رسول الله –صلّ الله عليه وسلم– يقول: "بينا أنا نائم رأيتني على قليب، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم

استحالت غربًا، فأخذها ابن الخطاب فلم أَرَ عبقريًّا من الناس يفري فريه، حتى ضرب الناس بعطن".

- وفي سنن أبي داود وغيره من حديث الأشعث، عن الحسن، عن أبي بكرة، أن النبي -صلّ الله عليه وسلم- قال ذات يوم: من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا رأيت ميزابًا أنزل من السماء، فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن عمر وأبو بكر، فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع، فرأيت الكراهة في وجه النبي -صلّ الله عليه وسلم- فقال: خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء.
- فبين رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- في هذا الحديث أن ولاية هؤلاء الخلفاء الثلاثة وهم: أبو بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم- خلافة نبوة، ثم بعد ذلك تكون ملكًا، وليس في الحديث ذكر علي -رضي الله عنه- لأنه لم يجتمع الناس في زمانه، بل كانوا مختلفين، فلم ينتظم في خلافته في عهده خلافة النبوة ولا الملك.
- وروى أبو داود أيضًا عن جابر -رضي الله عنه- أنه كان يحدث أن رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- قال: "رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله -صلّ الله عليه وسلم- ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر، قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله -صلّ الله عليه وسلم- وأما المنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه".
- وروى أبو داود أيضًا عن سمرة بن جندب أن رجلا قال: يا رسول الله، رأيت كأن دلوًا دلي من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شربًا ضعيفًا، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها، فانتشطت منه، فانتضح عليه منها شيء.

بيان وسطية أهل السنة في باب الصحابة، والردّ على الروافض والنواصب:

يقول الإمام الطحاوي -رحمه الله- في عقيدته: "ونحب أصحاب رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- ولا نُفْرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير. وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"

وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله -صلّ الله عليه وسلم: حبهم

والترضي عنهم وعدم ذكرهم إلا بخير، والإمساك عما شجر بينهم، وبغض من يذكرهم بسوء أو يبغضهم، أو يسبهم.

يقول ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- وهو يشرح ما ذكره الإمام الطحاوي -رحمه الله- في عقيدته سابقًا: يشير الشيخ -رحمه الله- إلى الرد على الروافض والنواصب، وقد أثنى الله على الصحابة هو ورسوله ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى، كما قال تعالى: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) [التوبة: ١٠٠] وقال تعالى: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)) [الفتح: ٢٩] وقال تعالى: ((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)) [الفتح: ١٨]..

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من بعدهم. يستغفرون لهم، ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلًّا لهم، وتتضمن أن هؤلاء هم المستحقون للفيء، فمن كان في قلبه على الذين آمنوا، ولم يستغفر لهم لا يستحق في الفيء نصيبًا بنص القرآن.. وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي-صلّ الله عليه وسلم- قال:(لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة).

ولقد صدق عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- في وصفهم، حيث قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد -صلّ الله عليه وسلم- خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد -صلّ الله عليه وسلم- فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيئ، فمن أضلّ ممن يكون في قلبه حقد على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة .

وقوله – أي– الطحاوي: "ولا نُفْرط في حب أحد منهم"، أي: لا نتجاوز الحدّ في حب أحد منهم كما تفعل الشيعة، فنكون من المعتدين قال تعالى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) [النساء: ١٧١] .

وقوله: ولا نتبرأ من أحد منهم كما فعلت الرافضة، فعندهم: لا ولاء إلا ببراء، أي: لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر.. وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب، فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد كما قال تعالى: ((فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ)) [الجاثية: ١٧].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: "ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله –صلّ الله عليه وسلم– كما وصفهم الله تعالى في قوله: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)) [الحشر: ١٠] وطاعة النبي –صلّ الله عليه وسلم– في قوله: ولا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه".

وبالجملة، فإن مذهب أهل السنة وسط بين معتقد الرافضة والخوارج في أصحاب رسول الله –صلّ الله عليه وسلم– لأن الرافضة يكفرون الصحابة –رضي الله عنهم– ويسبونهم ويطعنون فيهم، ويزعمون أنهم ارتدّوا بعد رسول الله –صلّ الله عليه وسلم– إلا ستة رجال، والخوارج أيضًا يطعنون في علي –رضي الله عنه– ويقولون: إنه حكَّم الرجال في كتاب الله تعالى، ووسط كذلك بين النواصب الذين ينصبون العداء لعلي –رضي الله عنه– وأهل البيت. وقد بين أهل العلم في ردودهم على هذه الفرق والطوائف أن المذهب الحق هو تولي الصحابة والترضي عنهم وموالاتهم

وجوب طاعة ولي أمر المسلمين بالمعروف مالم يأت كفرًا بواحًا، والجهاد معه، والصلاة خلفه:

مذهب أهل السنة والجماعة: أن ولي أمر المسلمين يجب طاعته، وعدم مخالفته حتى ولو تلبس ببعض المعاصي ما دام لم يظهر كفرًا صريحًا؛ وذلك لأهمية لزوم جماعة المسلمين، وعدم شقّ عصا الطاعة وفتح باب الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ((وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)) [الأنفال: ٤٦].

يقول الإمام الطحاوي –رحمه الله– في عقيدته: (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله –عز وجل– فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة، والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما).

وفي صحيحه أيضًا: أن النبي -صلّ الله عليه وسلم- قال: "يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم، وإن أخطئوا فلكم وعليهم" ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء، والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها، فإن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون، وكذلك كان عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان يشرب الخمر، حتى إنه صلّ بهم الصبح مرة أربعًا، ثم قال: أزيدكم؟! فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة!!

وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر وإمام الصلاة والحاكم وأمير الحرب وعامل الصدقة يطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف أعظم من أمر المسائل الجزئية...

وفي الصحيحين أيضًا: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة". وعن ابن عباس-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلّ الله عليه وسلم: "من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر؛ فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، فميتته جاهلية".

وفي رواية: "فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه".

وعن عوف بن مالك -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلّ الله عليه وسلم- قال: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم" فقلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، إلا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة" .

النهي عن الخروج على ولاة الأمور مالم يأتوا كفراً بواحاً، ووجوب لزوم جماعة المسلمين وتحريم التفرق:

ذهب أبو المعالي الجويني -رحمه الله- إلى أن الإمام الذي انعقدت له البيعة من المسلمين لا يجوز خلعه، ولا الخروج عليه بدون سبب مقتضٍ وهو الكفر البواح، حيث يقول: (الإمام إذا لم يخلُ عن صفات الأئمة، فرام العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلا باتفاق الأئمة؛ فإن عقد الإمامة لازم الاختيار في حله من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصود

منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تخير الرعايا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار لما استتب للإمام طاعة، ولما استمرت له قدرة واستطاعة، ولما صح لمنصب الإمامة معنى).

ولما طرح الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله- السؤال التالي: ما الواجب لولاة الأمر؟ أجاب بقوله: (الواجب لهم: النصيحة بموالاتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم برفق، والصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، والصبر عليهم وإن جاروا، وترك الخروج عليهم ما لم يظهروا كفرًا بواحًا، وألا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح والتوفيق .

وقال الشيخ ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- "فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ((أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)) [النساء: ٥٩] كيف قال: ((وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)) ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول للدلالة على أن من أطاع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول -صلّ الله عليه وسلم- لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله. وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد، أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الحسنات، فإن الله تعالى ما سلَّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل...

فمذهب أهل السنة والجماعة: يحرم الخروج على ولاة أمور المسلمين ورفض طاعتهم، بل الواجب طاعتهم بالمعروف ونصحهم والدعاء لهم عسى الله أن يصلحهم؛ لأنه بصلاحهم يصلح العباد ويستقيم شأن البلاد ؛ ولأن السلف كانوا يخافون من الفرقة والاختلاف؛ لأن الفوضى إذا حلّت بأمة بسبب النزاع على الخلافة والسلطة فإنه تراق عند ذلك دماء كثيرة، وقد جرب المسلمون ذلك في خلافة عثمان وعلي -رضي الله عنهما- من أجل ذلك نجد أن أهل السنة يدعون إلى جمع الكلمة ولمّ الشمل، وينهون عن الفرقة والنزاع.

الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت نعيم القبر وعذابه

ويشتمل على نقطتين:

١-الأدلة القرآنية على ثبوت نعيم القبر وعذابه

مذهب أهل السنة والجماعة وهو المذهب الحق على إثبات نعيم القبر وعذابه، لثبوت ذلك

بالقرآن والسنة، ومعلوم أن القول بنعيم صاحب القبر أو عذابه من أمور الغيب التي لا مجال للعقل فيها، ومنهج أهل السنة والجماعة التقيد بالكتاب والسنة في جميع مسائل الدين، ومن ذلك أمور العقيدة، وبالأخص ما يتعلق بالمسائل الغيبية كمسألتنا هذه، لذلك لم يقل أهل السنة والجماعة بوقوع نعيم القبر وعذابه إلا بعد أن ثبت ذلك في الكتاب العزيز أو في السنة المطهرة.

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: "وقد وردت إشارات في القرآن تدل على عذاب القبر، وقد ترجم البخاري في كتاب الجنائز لعذاب القبر فقال: باب ما جاء في عذاب القبر، وساق في الترجمة قوله تعالى: ((إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ)) [الأنعام: ٩٣]

وفيما يلي نستعرض الآيات المتفق على أنها تثبت نعيم القبر أو عذابه، وسنتبعها بأقوال المفسرين المعتبرين من أهل السنة والجماعة، حتى يتضح لك مذهبهم في ثبوت نعيم القبر وعذابه.

الآية الأولى : قول الحق سبحانه وتعالى: ((وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)) [غافر: ٤٥،٤٥]

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في تفسيره: ((وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)) أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم، وفي البرزخ ((النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)) فهذه العقوبة الشنيعة التي تحل بالمكذبين لرسل الله المعاندين أمره.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسير هذه الآية: "وقال في مصيرهم في البرزخ: ((النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا)) وقال في عذابهم في الآخرة: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ))

الآية الثانية قول الحق تبارك وتعالى: ((سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ)) [التوبة: ١٠١] قال الإمام النسفي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: ((سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ)) هما القتل وعذاب القبر، أو الفضيحة وعذاب القبر، أو أخذ الصدقات من أموالهم ونهك أبدانهم ((ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ)) أي: عذاب النار.

الآية الثالثة قوله تعالى: ((وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)) [الأنعام: ٩٣].

يقول الشيخ السعدي – رحمه الله – في تفسيره معلقا على هذه الآية: "وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب والعذاب الموجه إليهم إنما هو عند الاحتضار وقبل الموت وبعده.

الآية الرابعة : قول الله تبارك وتعالى: ((يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)) [إبراهيم: ٢٧].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب الصحيح إذا قيل للميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمدنبي.

الأدلة من السنة المطهرة على ثبوت نعيم القبر وعذابه:

فمن ذلك: ما رواه الإمام البخاري في صحيحه –كتاب الجنائز– باب ما جاء في عذاب القبر، حيث ساق البخاري –رحمه الله– الأحاديث الواردة في عذاب القبر؛ وهي:

الأول: حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلّ الله عليه وسلم قال: (إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قوله: ((يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ))، وزاد: ((يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا)) نزلت في عذاب القبر).

الثاني: حديث عائشة رضي الله عنها: (أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشةُ رسولَ الله صلّ الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال: (نعم عذاب القبر). قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله صلّ الله عليه وسلم بعد صلّ صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر). زاد غندر: "عذاب القبر حق".

الثالث: حديث عروة بن الزبير رضي الله عنهما أنه سمع أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تقول: (قام رسول الله صلّ الله عليه وسلم خطيبًا، فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة).

الرابع: حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: (خرج النبي صلّ الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس، فسمع صوتًا فقال: (يهود تعذب في قبورها).

الخامس: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلّ الله عليه وسلم يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال).

السادس: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (مر النبي صلّ الله عليه وسلم على قبرين فقال: (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير). ثم قال: (بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله). قال: ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: (لعله يخفف عنهما، ما لم ييبسا).

بعض أسباب عذاب القبر، وهل يدوم عذاب القبر أم ينقطع؟ والحكمة في عدم اطلاع الناس عليه:

لعذاب القبر أسباب عديدة، سوف نجمل بعض تلك الأسباب، كما ذكرها أهل العلم، أخذًا من أحاديث المصطفى صلّ الله عليه وسلم، فنقول:

١- عدم الاستتار من البول والنميمة.
٢- الكذب - هجر القرآن — الزنا — الربا.

وقال السفاريني -رحمه الله- ملخصًا هذه الأسباب وغيرها: "الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور على قسمين: مجمل ومفصل، أما المجمل فإنهم يعذبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم معاصيه، فلا يعذب الله روحًا عرفته، وأحبته، وامتثلت أمره، واجتنبت نهيته، ولا بدنًا كانت فيه أبدًا، فإن عذاب القبر، بل وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار بارتكاب مناهيه، ولم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فمستقل ومستكثر، ومصدق ومكذب.

وأما المفصل فقد أخبر رسول الله صلّ الله عليه وسلم عن الرجلين الذين رآهما يعذبان في قبورهما، وحديث أبي هريرة وفيه رضخ رءوس أقوام بالصخر لتثاقل رءوسهم عن الصلاة، والذين يأكلون الزقوم والضريع لتركهم الزكاة.

ومن الذين يعذبون في قبورهم، وأخبر عنهم النبي صلّ الله عليه وسلم الجبارون، والمتكبرون، والمراءون، والهمازون، واللمازون، والطعانون على السلف، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين، فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، ونحو هؤلاء ممن يشتغل بذنوب الناس عن ذنبه، وبعيوبهم عن عيبه، فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم".

هل يدوم عذاب القبر أم ينقطع؟

جوابه: أنه نوعان كما في شرح الطحاوية؛ الأول: لا ينقطع للكفار، والثاني: مدة ثم ينقطع وهو للعصاة.

الحكمة في عدم اطلاع الناس على عذاب القبر:

نبين الحكمة في أن الله سبحانه وتعالى حجب عن عامة الناس سماع عذاب القبر، لكن نورد أولًا أن الرسول صلّ الله عليه وسلم أطلعه الله على عذاب القبر، وسماع أصوات المعذبين، يقول الدكتور عمر الأشقر: "وقد أعطى الله رسوله القدرة على سماع المعذبين في قبورهم". ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي صلّ الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له، ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: (من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟). فقال رجل: أنا. قال: (فمتى مات هؤلاء؟). قال: ماتوا في الإشراك. فقال: (إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه).

وفي صحيح البخاري ومسلم وسنن النسائي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلّ الله عليه وسلم بعدما غربت الشمس فسمع صوتًا، فقال: (يهود تعذب في قبورها).

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى أن غير الأنبياء قد يسمع شيئًا من ذلك، فقال: "وما ذكرنا من أن الموتى يسمعون الخطاب، ويصل إليهم الثواب، ويعذبون بالنياحة، بل وما لم يسأل عنه السائل من عقابهم في قبورهم، وغير ذلك فقد يكشف لكثير من أبناء زماننا يقظة ومنامًا، ويعلمون ذلك، ويتحققونه، وعندنا من ذلك أمور كثيرة".

لكن الله سبحانه وتعالى حجب عن الإنس والجن عمومًا سماع تعذيب أهل القبور، ولم يطلعهم عليه؛ لأن أمور القبور وأهوالها من أمور الآخرة ومقدماتها، فلذلك هي غيب عنهم.

ومنها أن النار التي في القبر ليست من نار الدنيا، فيشاهدها من يشاهد نار الدنيا، وإنما هي من نار الآخرة، وكيف يستنكر من عرف الله، وأقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار خلقه وأسماعهم، حكمة فيه ورحمة بهم؛ لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها، والعبد أضعف بصرًا وسمعًا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، وكثير ممن أشهده الله ذلك ضعف وغشي عليه، ولم ينتفع بالعيش زمنًا، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات".

إذن أسمع الله سبحانه وتعالى أصوات المعذبين في قبورهم لنبيه صلّ الله عليه وسلم، ولعامة الحيوان من البهائم، ولم يطلع عليه الثقلين من الإنس والجن؛ لحكمة ذكرها رسولنا الكريم صلّ الله عليه وسلم كما مر معنا في الحديث الصحيح، وهو خشية أن لا يدفن بعضنا بعضًا.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وهو يشرح ألفاظ هذا الحديث: (يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين)، وهذا يدخل فيه الحيوان والجماد، وفي رواية أبي هريرة: (يسمعه كل دابة إلا الثقلين)، والمراد بالثقلين: الإنس والجن، وقيل لهم ذلك: لأنهم كالثقل على وجه الأرض.

قال المهلب: الحكمة في أن الله يسمع الجن قول الميت: قدموني ولا يسمعهم صوته إذا عذب، بأن كلامه قبل الدفن متعلق بأحكام الدنيا، وصوته إذا عذب في القبر متعلق بأحكام الآخرة، وقد أخفى الله عن المكلفين أحوال الآخرة إلا من شاء الله إبقاءً عليهم .

حياة الأنبياء والشهداء البرزخية وتعلقات الروح بالبدن

ويشمل هذا العنصر النقاط التالية:

١- **المراد بالحياة البرزخية:** هي عودة الروح إلى الجسد في القبر، وهذا التعلق يسمى حياة، ومعنى البرزخ أي: الحاجز بين أمرين، كما قال تعالى عن البحر العذب والمالح: ((مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ)) [الرحمن ١٩، ٢٠] أي: حاجز يحجز بينهما فلا يمتزجان بسببه، فالحياة في القبر برزخ بين حياتين: حياة الدنيا وحياة الآخرة، وقد ثبت في نصوص الشريعة أن الناس متفاوتون في نوع هذه الحياة البرزخية، فالكفار والعصاة يعذبون، والعياذ بالله، وأما أكمل الخلق حياة في البرزخ فهم الأنبياء عليهم السلام والشهداء.

يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: إن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت، فمنها أرواح في أعلى عليين، في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهم متفاوتون في منازلهم.

ومنها أرواح في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، لا كلهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لِدَيْنٍ عليه، ومن الأرواح من يكون محبوسًا على باب الجنة، ومنهم من يكون محبوسًا في قبره.

وأما الحياة التي اختص بها الشهيد وامتاز بها عن غيره في قوله تعالى: ((وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)) [آل عمران: ١٦٩]. فهي أن الله تعالى جعل أرواحهم في أجواف طير خضر، فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها في البرزخ أبدانًا خيرًا منها، تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير، أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير، فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة من كثير منهم، فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، والله أعلم.

وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في السنة، وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنهم كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، والله أعلم. وكأنه والله أعلم كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل كان بقاء جسده أطول.

أنواع تعلقات الروح بالبدن:

إن الروح التي تسري في جسم الإنسان لها شأن عظيم، فكما أن الله سبحانه وتعالى جعل أمرها غيبًا، لا يعلمه إلا هو، فقال تعالى: ((قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)) [الإسراء: ٨٥]. فإن تعلقها ببدن الإنسان له حالات، يقول شارح العقيدة الطحاوية رحمه الله: فالروح لها .

بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

- **أحدها**: تعلقها به في بطن أمه جنينًا.
- **الثاني**: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.
- **الثالث**: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

- **الرابع**: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته، وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًا، بحيث لا يبقى لها إليه التفات ألبتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة، لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.
- **الخامس**: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن معه، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه؛ إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا، فالنوم أخو الموت، فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة.

فالحاصل أن الدور ثلاثة:

دار الدنيا ودار البرزخ، ودار القرار،

وقد جعل الله لكل دار أحكامًا تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس ،

وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام الـبرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد، وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعًا.

فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل، ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم.

انتفاع الميت بالأعمال التي تسبب فيها في حياته، وحكم دعاء الأحياء للأموات:

ويشتمل هذا العنصر على النقاط التالية:

الأدلة على انتفاع الميت بالأعمال التي تسبب فيها في حياته:

مذهب أهل السنة والجماعة أن الميت ينتفع بالأعمال التي تسبب فيها في حياته، فهي من كسبه الذي يلحقه بعد موته ثواب الطاعات والقربات التي حصلت بسبب ذلك الكسب، ولهذا قرر ابن أبي العز الحنفي رحمه الله، وهو يشرح قول الطحاوي رحمه الله في عقيدته: (وفي دعاء الأحياء

وصدقاتهم منفعة للأموات). قال ابن أبي العز في الشرح: اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين؛

أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمين، واستغفارهم، والصدقة والحج،على نزاع فيما يصل من ثواب الحج.

والأدلة التي توضح انتفاع الميت بالأعمال التي تسبب فيها في حياته أدلة قرآنية ونبوية.

أما عن أدلة القرآن:

١- فقوله تعالى: ((وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى)) [النجم: ٣٩- ٤١]

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله- في تفسير هذه الآية: ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى، فقال: ((وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى)) أي: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى؛ لأنه ليس من عملهم، ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله صلّ الله عليه وسلم أمته ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا ينصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما، ومنصوص من الشارع عليهما.

ومن الأدلة من السنة المطهرة على انتفاع الميت بالأعمال التي تسبب فيها في حياته

- أن النبي صلّ الله عليه وسلم قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". فصرح الحديث بأن هذه الأشياء الثلاثة التي عملها ابن آدم، وسعى فيها في حياته، هي من كسبه، فهي بالتالي تنفعه ويلحقه ثوابها، وعملها الخيري بعد مماته.

وحكم دعاء الأحياء للأموات

مذهب أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أن الدعاء للميت يصله وينفعه؛ وذلك لحديث: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث..." "أو ولد صالح يدعو له" ومن الأدلة على ذلك:

- الصلاة على الميت
- ودعاء المصلين للجنازة،
- وكذلك زيارة القبور، والسلام على أهلها
- والدعاء لهم.

والأئمة اتفقوا على أن الصدقة تصل إلى الميت، وكذلك العبادات المالية كالعتق. وإنما تنازعوا في **العبادات البدنية**: كالصلاة، والصيام، والقراءة، ومع هذا في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلّ الله عليه وسلم قال: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه". وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صيام نذر. قال: "أرأيت إن كان على أمك دين فقضيته، أكان يؤدي ذلك عنها؟". قالت: نعم. قال: "فصومي عن أمك".

الحكمة في إخفاء علم قيام الساعة، وذكر أقسام أشراطها :ـ

لقد أخفى الله سبحانه وتعالى علم وقت قيام الساعة، فلم يطلع على ذلك ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا، فضلًا عن غيرهما. قال تعالى:((إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)) [لقمان: ٣٤] وقد سئل الرسول صلّ الله عليه وسلم عن الساعة فقال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل". وكان هذا السائل جبريل متمثلًا في صورة بشر، فإذا كان أعلى الملائكة منزلة وهو جبريل عليه السلام، وأعلى البشر منزلة وهو محمد صلّ الله عليه وسلم لا يعلمان متى تكون، فحري بأن لا يعرف أحد غيرهما وقت وقوعها.

ولعل السر والحكمة في إخفاء علم وقت قيام الساعة هو أن يجتهد المرء في الطاعة مدة حياته، ويبتعد عن المعصية؛ لأنه لا يدري متى يفاجئه أحد أمرين: إما الموت، أو قيام الساعة، وهذا كإخفاء معرفة العبد مدة حياته ووقت وفاته، وكإخفاء معرفة ليلة القدر في شهر رمضان، وكإخفاء ساعة الإجابة من يوم الجمعة.

وإنما أخفاه تعالى لأنه أصلح للعباد؛ لئلا يتباطئوا عن التأهب والاستعداد، كما أن إخفاء وقت الموت أصلح لهم وأنفع، وقد انتدب جماعة من العلماء على تعيين قربها وزمن كونها ومجيئها.

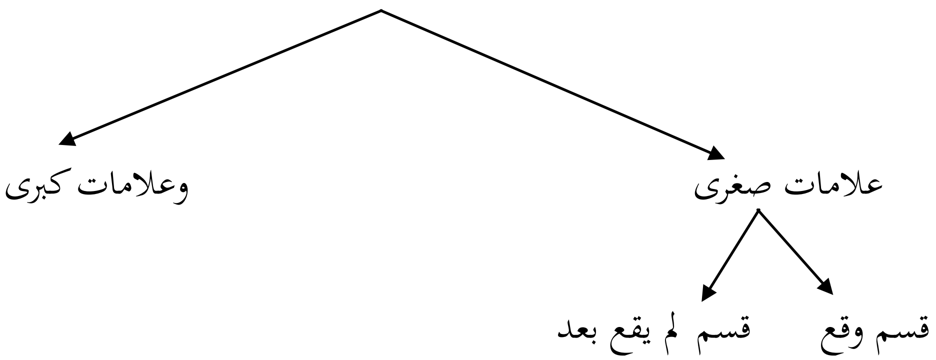
أقسام أشراط الساعة:

لقد أخفى الله سبحانه وتعالى وقت وقوع الساعة عن عباده، لكنه أعلمهم بأمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها، وقد سمى القرآن الكريم هذه الأمارات بأشراط الساعة. قال تعالى: ((فَهَلْ يَنْظُرُونَ

إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا)) [محمد: ١٨].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قال الطيبي: الآيات أمارات الساعة إما على قربها، وإما على حصولها.

يقول الدكتور عمر الأشقر: وهذه الأشراط التي ذكرها الرسول صلّ الله عليه وسلم في هذه الأحاديث، وفي أحاديث أخرى كثيرة قسمها أهل العلم إلى قسمين:



والذي وقع قد يكون مضى وانقضى، وقد يكون ظهوره ليس مرة واحدة، بل يبدو شيئًا فشيئًا، وقد يتكرر وقوعه وحصوله، وقد يقع منه في المستقبل أكثر مما وقع في الماضي؛ ولذلك سنعقد لعلامات الساعة أربعة فصول:

- الأول: العلامات الصغرى التي وقعت وانقضت.
- الثاني: العلامات الصغرى التي وقعت، ولا تزال مستمرة، وقد يتكرر وقوعها.
- الثالث: العلامات الصغرى التي لم تقع بعد.
- الرابع: العلامات الكبرى.

ذكر بعض أشراط الساعة القريبة من قيامها، وأدلتها، وذكر ما وقع من تلك الأشراط والعلامات:

ويشمل النقاط التالية:

ذكر الأشراط القريبة من قيام الساعة وأدلتها:

نقصد بالأشراط القريبة من قيام الساعة: العلامات الكبرى التي تدل على قرب قيام الساعة، وهذه العلامات كثيرة ومشهورة، وردت في الآيات والأحاديث الصحيحة، لكن المشكل في أمرها هو ترتيبها، فقد وردت في بعض النصوص مرتبة ترتيبًا يختلف عن ترتيبها في نصوص أخرى.

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله: ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها.

ويقول ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله– في شرحه لعقيدة الطحاوي: وعن حذيفة بن أسيد قال: اطلع النبي صلّ الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: "ما تذاكرون؟". قالوا: نذكر الساعة، فقال: "إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم".

وفيما يلي سرد لأشراط الساعة القريبة منها، أو ما يطلق عليه بعض أهل العلم العلامات الكبرى مع أدلتها:

الأول: الدخان

الثاني: خروج الدجال

الثالث: نزول عيسى بن مريم عليه السلام

الرابع :خروج يأجوج ومأجوج: وهما أمتان كثيرتا العدد من ذرية آدم عليه السلام، وثبت في الكتاب العزيز أن السد الذي أقامه ذو القرنين مانعهم من الخروج ((**فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**)) [الكهف: ٩٧] وأخبر الحق أن ذلك سيستمر إلى آخر الزمان عندما يأتي وعد الله، ويأذن لهم في الخروج.

الخامس: دروس الإسلام ورفع القرآن وفناء الأخيار: قال رسول الله صلّ الله عليه وسلم: "يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك ولا صدقة، وليسري على كتاب الله في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة "لا إله إلا الله" فنحن نقولها".

السادس: عبادة الأوثان وعودة البشرية إلى الجاهلية الأولى

السابع :هدم الكعبة على يدي ذي السويقتين

الثامن: طلوع الشمس من مغربها:

التاسع :خروج الدابة.

العاشر: النار التي تحشر الناس: هي آخر علامات الساعة الكبرى التي تقع قبيل قيام الساعة، فقد ورد أنها تخرج من قعر عدن، تحشر الناس إلى محشرهم، وتسوقهم إلى أرض الشام.

ذكر ما وقع من أشراط الساعة:

قسم بعض العلماء علامات الساعة الصغرى إلى قسمين؛ هما:

- علامات صغرى وقعت وانقضت.
- علامات صغرى وقعت ولا تزال مستمرة، وقد ينكر وقوعها.

علامات الساعة التي وقعت وهي كثيرة؛ منها:

الأول بعثة الرسول صلّ الله عليه وسلم ووفاته

الثاني انشقاق القمر

الثالث :نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى

وقد ذكر ابن كثير –رحمه الله– في تأريخ هذه النار أنَّها وقعت سنة ٦٥٤هـ، وأن النار أضاءت أعناق الإبل ببصرى بالشام، وأن طلبة العلم كانوا يقرءون على ضوئها في بعض البلدان.

الرابع :توقف الجزية والخراج.

علامات صغرى وقعت، ولا تزال مستمرة، وقد يتكرر وقوعها، وهذه كثيرة أيضاً:

الأول: الفتوحات والحروب: قال النبي صلّ الله عليه وسلم: «والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون». ولقد حصل ما أخبر به الرسول صلّ الله عليه وسلم علم من أعلام النبوة، وعلامة من علامات قرب قيام الساعة.

الثاني :خروج الدجالين أدعياء النبوة: ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلّ الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون، قريب من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول الله)).

وقد خرج مسيلمة وسجاح والأسود العنسي وغيرهم، وما زالوا يخرجون.

الثالث: ظهور الفتن التي أخبر بها النبي صلّ الله عليه وسلم

وأول تلك الفتن مقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه وافتراق الأمة، وكذلك فتنة الخوارج إلى يومنا هذا.

الرابع :إسناد الأمر إلى غيره أهله: قال صلّ الله عليه وسلم: ((إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)). قال: وكيف إضاعتها؟ قال: ((إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)).

الخامس: فساد المسلمين: حيث ترفع الأمانة، وهذا الرفع تدريجي، وقد بدأ يظهر في الأمة.

السادس: ولادة الأمة ربتها، وتطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان:

فالمراد بالحفاة العراة رعاة الشاة: العرب، وقد حصل، والمراد بولادة الأمة ربتها: أن يكون الأبناء

أمهاتهم أمهات أولاد، وذلك لكثرة السراري، فإن ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها. وقيل معناه: أن يلدن الملوك فتكون أمة من جملة رعيته، وهو سيدها، وكل هذا وقع، فقد كثر تسري الأحرار من الإماء بملك اليمين، وقد وصل بعض هؤلاء الأبناء إلى الملك.

السابع :تداعي الأمم على الأمة الإسلامية: حيث يتكالب أهل الكفر على المسلمين، قال رسول الله صلّ الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: ((بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل)).

الثامن :الخسف والقذف والمسخ الذي يعاقب الله به أقوامًا من هذه الأمة:

يقع في هذه الأمة من أنواع البلاء: الخسف والقذف والمسخ؛ بسبب تعاطيها للذنوب والمعاصي علانية، كشرب الخمر، ولبس الرجال الحرير، وتعاطي الزنا، وأكل الربا، ونحو ذلك من الفساد الذي يحصل بسبب استحلال الحرام.

الأدلة الشرعية والعقلية على تقرير البعث:

يقول الشيخ ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على المنكرين في غالب سور القرآن، وذلك أن الأنبياء كلهم متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عامٌّ في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب، إلا من عاند كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر فإن منكريه كثيرون، ومحمد صلّ الله عليه وسلم لما كان خاتم الأنبياء، وقد بُعِثَ هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر، المقفى -بَيَّنَ تفصيل الآخرة بيانًا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد صلّ الله عليه وسلم، وجعلوا هذا حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري.

والقرآن بَيَّنَ معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء لا ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر عنه الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام.

ذكر بعض مسالك القرآن في تقرير البعث:

لقد سلك القرآن الكريم مسالك عديدة في بيان إمكانية البعث، وإعادة أجساد المخلوقات خلقًا جديدًا، فتارة ينبئ المكذبين بالبعث إلى أن الإعادة أهون من البداءة، وتارة يمثل إعادة الله للخلائق

يوم القيامة عند النشأة الأخرى، بإحياء الأرض الميتة الهامدة، التي إذا نزل عليها الماء أنبتت البذر، الذي كان ميتًا في الأرض، فإذا هي خضراء تهتز، فكذلك البعث والنشور، إلى غير ذلك من المسائل التي تقرب فهم مسألة البعث والحياة الأخروية للسامعين.

القرآن الكريم لم يترك لمنكري البعث مجالًا للشك أو الحيرة في مسألة الحياة الأخروية، وإعادة الأجسام بأرواحها في النشأة الأخرى؛ لأنه سلك كل مسلك لتقريب هذه القضية إلى إفهام الناس بضرب الأمثال، والتشبيه بالمحسوس المشاهد، والتذكير بالقدرة على ما هو أعظم من إحياء الخلق، وبعثهم مرة أخرى للجزاء والحساب

يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار كان على حمل أوقيته أشد اقتدارًا، فقال: ((أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ)) (يس: ٨١)، فأخبر أن الذي أبدع السموات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما وسعتهما، وعجيب خلقهما أقدر على أن يحيي عظامًا قد صارت رميمًا، فيردها إلى حالتها الأولى، كما قال في موضع آخر: ((لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)) (غافر: ٥٧) .

المكذبون بالبعث والنشور ثلاثة أقسام :

القسم الأول: الملاحدة الذين أنكروا وجود الخالق، ومن هؤلاء كثير من الفلاسفة الدهرية الطبائعية، ومنهم الشيوعيون في عصرنا، وهؤلاء ينكرون صدور الخلق عن الخالق، فهم منكرون للنشأة الأولى والثانية، ومنكرون لوجود الخالق أصلًا.

الثاني: **الذين يعترفون بوجود الخالق**، ولكنهم يُكَذِّبُون بالبعث والنشور، ومن هؤلاء العرب الذين قال الله فيهم: ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)) (لقمان: ٢٥)، وهؤلاء يدعون أنهم يؤمنون بالله، ولكنهم يدعون أن قدرة الله عاجزة عن إحيائهم بعد إماتتهم.

الثالث: **الذين يؤمنون بالمعاد** على غير الصفة التي جاءت بها الشرائع السماوية ،وهناك ملاحدة الجهمية ومن وافقهم ، أقروا بمعاد ليس على ما في القرآن، ولا فيما أخبرت به الرسل عن الله عز وجل، بل زعموا أن هذا العالم لم يعدم عدمًا محضًا

ومن الرد على الذين كذبوا بإعادة الأجسام، أوالذين زعموا أن المعاد للأرواح فقط، أو أن المعاد جسماني فقط، أوأنكروا المعاد بالكلية، أوتوقفوا في بيان حقيقة المعاد الأخروي أن نقول لهم: أنتم

مخطئون جميعًا؛ لأن خالق الكون قادر على كل شيء،وقد قدر على إيجادهم من عدم فإعادتهم أهون.

والناس يختلفون عند البعث اختلافًا كبيرًا حسب أعمالهم، فالذين صلحت عقائدهم وأعمالهم وزكت نفوسهم يكونون أكمل أجسادًا وأرواحًا، والذين خبثت أعمالهم، وفسدت عقائدهم يكونون أنقص أجسادًا وأرواحًا، فالله تعالى يجمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء، وبطن الأرض، وما أصاب النيران منها بالحرق، والمياه بالغرق وما أبلته الشمس، وذرته الرياح، فإذا جمعها، وأكمل كل بدن منها، ولم يبق إلا الأرواح نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور فأرسلها بنفخه من ثقب الصور، فترجع كل روح إلى جسدها، فإذا هم قيام ينظرون.

النفخ في الصور ثابت بالكتاب والسنة، فالصور في لغة العرب: القرن، فقد فسره الرسول صلّ الله عليه وسلم بما تعرفه العرب في لغتها بأنه القرن، ففي الحديث الذي رواه أهل السنن، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي صلّ الله عليه وسلم فقال: ما الصور؟ قال: "الصور قرن ينفخ فيه". وذكر البخاري رحمه الله أن مجاهدا رحمه الله قال: الصور كهيئة البوق. فمن الأدلة على النفخ في الصور قوله تعالى: ((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ)) [الزمر: ٦٨].

يقول الإمام ابن كثير –رحمه الله– في تفسير آية الزمر هذه: يقول تبارك وتعالى مخبرًا عن هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقوله تعالى: ((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ)) هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، كما جاء مصرحًا به مفسرًا في حديث الصور المشهور، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولًا، وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء، ويقول: "لمن الملك اليوم" ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه، فيقول: "لله الواحد القهار" أنا الذي كنت وحدي، وقد قهرت كل شيء، وحكمت بالفناء على كل شيء.

ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث. قال الله عز وجل: ((ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)) أي: أحياء بعدما كانوا عظامًا ورفاتًا، وصاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة.

- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والقرآن قد أخبر بثلاث نفخات نفخة الفزع، ذكرها في

سورة النمل في قوله تعالى: ((وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ)). ونفخة الصعقة والقيام، ذكرها في قوله: ((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ))

- وقد جاءت الأحاديث مصرحة بالنفخ في الصور، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلّ الله عليه وسلم قال: ((ما بين النفختين أربعون)). قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرًا. قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت.
- وأن الأرض التي يقف عليها الخلائق للحساب يوم القيامة تبدل، فهي أرض أخرى غير هذه الأرض، قال تعالى: ((يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)) [إبراهيم: ٤٨].
- يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "وتبدل السموات غير السموات، وهذا التبديل تبديل صفات لا تبديل ذات، فإن الأرض يوم القيامة تسوى، وتمد كمد الأديم، ويلقى ما على ظهرها من جبل ومعلم فتصير قاعًا صفصفًا، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا.

الحوض والكوثر: أن الحوض ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، وهذا الحوض اللذيذ العظيم القدر والشأن يأتيه هذا الماء الطيب من نهر في الجنة يسمى الكوثر، وهو أيضًا تشريف بعد تشريف لخاتم النبيين -صلّ الله عليه وسلم- فالكوثر نهر في الجنة يصب في الحوض الذي كرم الله به نبيه محمدًا -صلّ الله عليه عليه وسلم- وشرفه به، وهذا الحوض ترد عليه أمة محمد صلّ الله عليه وسلم ويشرب منه المسلم الذي لم يحدث في الدين، والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وفي بعض الأحاديث أنه كلمَّا شرب منه وهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ، وقضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر.

موضع الحوض قيل: إنه في العرصات قبل الصراط، وقيل: إنه بعده، وقيل: إن للنبي صلّ الله عليه وسلم حوضين.

- وقد اختلف أهل العلم في موضع الحوض، فذهب الغزالي والقرطبي -رحمهما الله- إلى أنه يكون قبل المرور على الصراط في عرصات القيامة، واستدلا على ذلك بأنه يؤخذ بعض وارديه إلى النار،

فلو كان بعد الصراط لما استطاعوا الوصول إليه، واستظهر الحافظ ابن حجر –رحمه الله– أن مذهب الإمام البخاري أن الحوض يكون بعد الصراط؛ لأن الإمام البخاري أورد أحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة، وأحاديث نصب الصراط، وما ذهب إليه القرطبي والغزالي أرجح.

- يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: قال العلامة أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في التذكرة: واختلف في الميزان والحوض: أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل الميزان، وقيل الحوض. وقال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم، كما تقدم، فيقدم قبل الميزان والصراط.
- وتكلم الشيخ حافظ الحكمي –رحمه الله– على هذه المسألة فقال: ظاهر هذا أن الحوض من وراء الجسر، فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر، فإذا كان الحوض بهذا الطول والسعة، فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر، فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده، فهذا في حيز الإمكان، ووقوعه موقوف على خبر الصادق، والله أعلم. انتهى كلامه.
- وقال السفاريني رحمه الله: فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشًا فناسب تقديمه لحاجة الناس إليه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: سئل رسول الله صلّ الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي الله تعالى: هل فيه ماء؟ قال: "إي والذي نفسي بيده إن فيه الماء، وإن أولياء الله ليردون إلى حياض الأنبياء عليهم السلام". ورجح القاضي عياض أن الحوض بعد الصراط، وأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار. وقال ابن حمدان في عقيدته: يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة، وبعد جواز الصراط. وقال القرطبي في التذكرة: إن للنبي صلّ الله عليه وسلم حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة، وكلاهما يسمى كوثرًا، والكوثر في كلام العرب: الخير الكثير. انتهى كلامه.
- عرفت أن دلت النصوص دلت على أن الميزان الذي يضعه المولى عز وجل يوم القيامة لمحاسبة الخلائق ميزان حقيقي، لا يقدر قدره إلا الله عز وجل، فقد روى الحاكم عن سلمان رضي الله عنه، عن النبي صلّ الله عليه وسلم أنه قال: "يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعته، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك".

ودليله من الكتاب قوله تعالى: ((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا

وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)) [الأنبياء ٤٧].قال: وقوله: ((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)) يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون الموزونات جمعًا باعتبار تنوع الأعمال الموزونة. والله أعلم.

وقال تعالى: ((فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ)) [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: ونؤمن بالميزان. وقال تعالى: ((فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ)) [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها

- وقد ثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.
- والحكمة في الوزن –مع أن الله عالم بكل شيء، فيعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور– هي: تعريف الله عباده ما لهم عنده من الجزاء من خير أو شر؛ بل الحكمة فيه إظهار العدل، وبيان الفضل حيث إنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر. والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان.

المراد بالصراط لغة: الطريق:

وفي الشرع: هو جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون، فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار، وخُلِقَ من حين خلقت جهنم.

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلّ الله عليه وسلم: "لجهنم سرادق أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله، والناس عليه كالطرف، والبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، والملائكة يقولون: رب سلم سلم، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار على وجهه، وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات، وإن جبريل لآخذ بحجزتي، وإني لأقول: يا رب سلم سلم، فالزالون، والزالات يومئذ كثير".

وأخرج ابن عساكر عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة، خمسة آلاف صعود، وخمسة آلاف هبوط، وخمسة آلاف مستوي، أدق من الشعرة،

وأحد من السيف، على متن جهنم، لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله تعالى، وفي بعض الروايات أن جبريل في أوله، وميكائيل في وسطه، يسألون الناس عن عمرهم فيما أفنوه، وعن شبابهم فيما أبلوه، وعن علمهم ماذا عملوا به.

المراد بالشفاعة لغة:الانضمام إلى آخر من أجل نصرته، فالشفاعة تدل على ضم شيئين ومقارنتهما واشتقاقها من الشفع الذي هو ضد الوتر .واصطلاحا: التوسط للغير لجلب منفعة، أو دفع مضرة

والشفاعة تنقسم إلى قسمين:

شفاعة مثبتة: وهي التي أثبتها القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهي التي ثبتت للنبي صلّ الله عليه وسلم يوم القيامة، ولغيره كذلك، في كثير من الأحاديث النبوية الثابتة الصحيحة. وهي:

- كون المشفوع من أهل التوحيد
- رضا الله تعالى عن المشفوع له، ولا يرضى الله إلا عن أهل التوحيد.
- إذن الله تعالى للشافع في الشفاعة. ومن أهل العلم من يزيد شرطًا رابعًا وهو: قدرة الشافع على الشفاعة.

وبعد أن قرر العلامة ابن القيم رحمه الله شروط الشفاعة، وأطلق عليها أصول الشفاعة قال: فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها، لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله.

والدليل على هذه الشروط من الكتاب العزيز قول الله تعالى: ((يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)) [طه: ١٠٩]. وقوله تعالى:((وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى)) [النجم: ٢٦].

- وشفاعة منفية: وهي التي يثبتها الكفار والمشركون وأهل البدع للشفعاء، الذين لا يملكون الشفاعة كاستشفاع المشركين بأصنامهم، واستشفاع أهل البدع بمتبوعيهم.

أقسام الشفاعة وأنواعها وأنواع الشفعاء

الشفاعة نوعان في الأصل:

- شفاعة خاصة بنبينا محمد صلّ الله عليه وسلم
- وشفاعة مشتركة يشاركه فيها غيره عليه الصلاة والسلام. وفيما يلي بيان لتلك الشفاعات:

الشفاعة العظمى

- وهذه خاصة بنبي الرحمة صلّ الله عليه وسلم، وهي المشار إليها بالمقام المحمود في قوله تعالى: ((عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)) [الإسراء: ٧٩] .
- والدليل على هذه الشفاعة ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا –أي: جماعات– كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلّ الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها

- فقد ورد في بعض الأحاديث أن النبي صلّ الله عليه وسلم هو أول من يشفع لأهل الجنة في دخولها، وقد تقدم في أحاديث الشفاعة الحديث الصحيح في هذا النوع من الشفاعة.

الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه

- وهذه الشفاعة خاصة بالنبي صلّ الله عليه وسلم لعمه أبي طالب، ودليلها ما جاء في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء؛ فإنه كان يحفظك ويغضب لك؟ قال: "نعم هو في ضحضاح –ما رق من الماء على وجه الأرض واستعير للنار– من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار".

الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة

ودليلها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي صلّ الله عليه وسلم دعا لأبي سلمة لما توفي فقال: "اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، وأخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه".

الشفاعة في دخول الجنة بلا حساب

ودليل هذه الشفاعة قوله صلّ الله عليه وسلم لعكاشة بن محصن: " اللهم اجعله منهم". لما ذكر النبي صلّ الله عليه وسلم أن من أمته سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، فقال عكاشة للنبي صلّ الله عليه وسلم: ادع الله أن يجعلني منهم، فقام إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "سبقك بها عكاشة". رواه البخاري ومسلم.

الشفاعة لأهل الكبائر

المراد بأهل الكبائر: العصاة من أهل التوحيد، الذين يدخلون النار بسبب ذنوبهم، فيشفع فيهم الرسول صلّ الله عليه وسلم لإخراجهم من النار بعد دخولها، ودليلها ما سبق في الأحاديث، وهو قوله صلّ الله عليه وسلم: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي".

شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة

ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله، أن النبي صلّ الله عليه وسلم قال: "أنا أول شفيع في الجنة".

شفاعته صلّ الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار فلا يدخلونها.

وقد ثبت في نصوص الشرع أن هناك شفعاء يشفعون أيضًا، ويأذن الله تعالى لهم في الشفاعة، وهم: الملائكة، والأنبياء والمؤمنون. قال صلّ الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: "شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يتبق إلا أرحم الراحمين...".

كما ثبت أن الشهيد يشفع لأهله، قال صلّ الله عليه وسلم: "يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته". أخرجه أبو داود في سننه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير.

كما ثبت أن أولاد المؤمنين إذا ماتوا صغارًا قبل الحلم يكونون شفعاء لوالديهم، حتى يدخلوا الجنة جميعًا، كما ثبت أن القرآن والصيام يشفعان للمؤمن يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح قوله صلّ الله عليه وسلم: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة". (أخرجه أحمد في المسند، والحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن شفاعة غير النبي صلّ الله عليه وسلم ممن ذكرنا تكون مشتركة مع النبي صلّ الله عليه وسلم في ثلاث شفاعات؛ وهي:

- الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها.
- الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها.
- الشفاعة في رفع درجات المؤمنين في الجنة. فهذه الشفاعات ليست خاصة بالنبي صلّ الله عليه وسلم، بل تكون للملائكة والنبيين والصديقين وغيرهم من المؤمنين والصالحين، حتى يشفع الرجل في أهله، وفي جيرانه وفيما أشبه ذلك.

الأدلة على خلق الجنة والنار وأنهما موجودتان الآن

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى خلق الجنة والنار، كغيرهما من المخلوقات، وأنهما موجودتان الآن معدتان لسكانهما، وأن النبي صلّ الله عليه وسلم قد أطلعه الله عليهما في بعض المقامات، ولهذا قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلًا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلًا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلًا منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد.

ثم شرع الشيخ ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرحه لعقيدة الطحاوي فقال: أما قوله: إن الجنة والنار مخلوقتان. فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئها الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم.

فمن نصوص الكتاب الدالة على خلقهما قوله تعالى عن الجنة: ((أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين)) [آل عمران: ١٣٣] وعن النار: ((أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين)) [آل عمران: ١٣٦]. وقد رأى النبي صلّ الله عليه وسلم سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى، كما في الصحيحين في حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي آخره: "ثم انطلق بي جبرائيل حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنات اللؤلؤ وإذا ترابها المسك".

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلّ الله عليه وسلم قال: ((إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في أول باب من كتابه حادي الأرواح: لم يزل أصحاب رسول الله –صلّ الله عليه وسلم– والتابعون، وتابعوهم، وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد –على اعتقاد وجود الجنة، وأنها مخلوقة الآن؛ مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب

والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها، إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن. ولهذا يذكر السلف في عقائدهم: أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة، لا يختلفون فيها.

دوام الجنة والنار وبقاؤهما ببقاء الله تعالى لهما، والرد على المُخالفين لذلك:

مذهب أهل السنة أن الجنة والنار خلقتا لجزاء الخلق، فالطائعون إلى الجنة، والكافرون إلى النار، وأنهما باقيتان مؤبدتان لا تفنيان.

يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله وهو يشرح قول الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: وقوله: لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان. هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف، وقال ببقاء الجنة وقال بفناء النار جماعة من السلف والخلف، والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها، وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة .

الأدلة القرآنية على أبدية الجنة والنار:

فأما أبدية الجنة، وأنها لا تفنى ولا تبيد فهذا مما يعلم بالضرورة أن الرسول صلّ الله عليه وسلم أخبر به. قال تعالى: ((وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَت السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ)) [هود: ١٠٨] أي: غير مقطوع.

ولدينا في ذلك قوله: ((إِلاَّ مَا شَاءَ)) واختلف السلف في هذا الاستثناء، فقيل معناه: إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار، ثم أخرج منها، لا لكلهم.

وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف.

وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف، وقيل: هو استثناء استثناه الرب ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه. وقيل: إلا بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف، ومنهم من يجعل إلا بمعنى لكن، فيكون الاستثناء منقطعًا، ورجحه ابن جرير، وقال: إن الله تعالى لا خلف لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ((عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ)) قالوا: ونظيره أن تقول: أسكنتك داري حولًا إلا ما شئت، أي: سوى ما شئت، أو لكن ما شئت من الزيادة عليه.

وقيل: الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، لأنهم لا يخرجون عن مشيئته، ولدينا في

ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ((وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً)) [الإسراء: ٨٦].

وقيل: إن "ما" بمعنى "من" أي: إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء، وقيل غير ذلك. وعلى كل تقدير فهذا الاستثناء المتشابه بقوله: ((عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذ)) وقوله: ((أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا)) [الرعد: ٣٥]وقوله: ((وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ)) [الحجر: ٤٨] وقد أكد الله خلو أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم ((لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى)) [الدخان: ٥٦] وهذا الاستثناء منقطع، ولذا ضمه إلى الاستثناء في قوله تعالى: ((إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ)) تبين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذاك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

الأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها:

الأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة كقوله صلّ الله عليه وسلم: "من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت". وقوله: "ينادي مناد: يأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، خلود بلا موت".

أبدية النار ودوامها

وأما أبدية النار ودوامها فللناس في ذلك ثمانية أقوال:

الأول :أن من دخلها لا يخرج منها أبدًا، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

الثانى:أن أهلها يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة نارية يتلذذون بها. وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي.

الثالث :أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي صلّ الله عليه وسلم.

الرابع :يخرجون منها، وتبقى على حالها ليس فيها أحد.

الخامس :أنها تفنى بنفسها، لأنها حادثة، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه، وهذا قول الجهم وشيعته.

السادس:تفنى حركات أهلها، ويصيرون جمادًا لا يحسون بألم، وهذا قول أبي الهذيل كما تقدم.

السابع:أن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد في الحديث، ثم يبقيها شيئًا، ثم يفنيها.

الثامن:أن الله تعالى يخرج منها من يشاء كما وردت به السنة، ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له.

ومن أدلة القائلين ببقائها وعدم فنائها: قوله تعالى: ((وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيم)) [المائدة: ٣٧]، ((خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)) [البينة: ٨]، ((وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِن النَّار)) [البقرة: ١٦٧].

وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منهم لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما.